مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والامنية على الساحتين الدولية والاقليمية

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

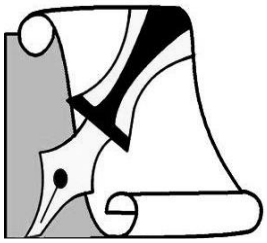

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تقدير نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية على الساحتين الدولية والإقليمية

أهداف المركز الرئيسية:

1 . إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 . الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 . بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 . إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

رغبة إسرائيلية بالتصعيد مضبوطة على وقْع التوقيت الأمريكي: أوكرانيا أوّلًا

د. لينه بلاغي

لوحة دوليّة مُعقّدة:

على الرّغم من التخبّط الظاهر الذي تمرّ به الولايات المتحدة الأمريكية، داخلياً، عشيّة الانتخابات الرئاسية وأزمة المُهاجرين، وآخرها الاعتراضات الطلّابية الواسعة على حرب غزّة.. وخارجياً على ثلاث جبهات في العالم القديم؛ إلّا أنها سَرّعت وصَعّدت من حملاتها باتجاه مُنافسيها في المنظومة الدولية، رافضة مبدأ الشراكة الدولية عبر "نظام مُتعدّد الأقطاب"، كما عَبّر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أخيراً.

المُراقب للحراك الأمريكي في العالم يَلْحظ النسق المستمر في محاولات الولايات المتحدة للسيطرة المطلقة على العالم، مُستخدمة كافة أذرعها، من عسكرية وسياسية ومالية، وضغوط مباشرة وغير مباشرة، في إطار وقاحة دولية تَخطّت فيها أمريكا كلّ المعايير، من نُظُم قانونية وإنسانية، دولياً ومحلياً.

إنّ أفعى الهيدرا ذات الرؤوس المتعدّدة، وبدمها المسموم، بدأت بتحريك رؤوسها في مختلف الاتجاهات، من بحر الصين الجنوبي والشرق الأقصى، حيث تستمر عمليات إحاطة الصين بجملة من الأعداء، ومحاولات بناء منظومة درع صاروخي على غرار الدرع الصاروخي الذي يحيط بروسيا، وتصعيد شبكة العلاقات العسكرية والاستفزازية للدول المُعادية للصين؛ مُناورات لا تهدأ، تمهيداً للمعركة المرتقبة، ذات البعد التكنولوجي والمالي والنفسي حالياً، بانتظار لحظة الصفر لانطلاقة عسكرية مُحتملة إذا ما فشلت المعطيات في تركيع التنّين الصيني.

من شرق آسيا إلى الجزء الجنوبي من وسط آسيا، تتموضع الهند، التي وعلى الرغم من امتداداتها الاقتصادية والسياسية، إلّا أنها استراتيجياً الْتَزمت المعسكر الغربي. فهي الدولة المُرشّحة لتؤدّي دور رافعة اقتصاد آسيا بعد الصين، وفق الوعود الأمريكية، والحليف الاستراتيجي للكيان الصهيوني. وقد فعلت العداوات التقليدية بينها وبين جارتها باكستان المدعومة من الصين، فعلها، بعدما تآكلت أسس العلاقات الثنائية الهندية – الصينية

(باستثناء التجارية) في السنوات الأخيرة، على خلفيّة صراعات حدودية أدّت في بعض المراحل إلى مناوشات عسكرية بين الطرفين.

ومن بين نقاط تضارب التوازنات الدولية، والتي ستَفْرض سطوتها على الملفات المشتعلة، تقع أذربيجان، الدولة والجمهورية السوفيتية السابقة، ذات الأغلبية الشيعية، والناطقة باللغة الأذرية التركية العثمانية، وتتمتّع فيها تركيا بنفوذ واضح. يَحدّ أذربيجان بحر قزوين وجبال القوقاز؛ وهي منطقة جنوب القوقاز في أوراسيا، وتقع في قلْب الصراع الدولي الراهن، وتمتد على مساحة من غرب آسيا وشرق أوروبا، وتُعدّ أحد أخطر التمَوضعات المُعادية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، نظراً للعلاقات الثنائية والعسكرية التي تَجْمعها بالكيان الصهيوني، في ظل ادّعاءات حدودية وقومية قديمة، وهو ما يُعدّ تهديداً للأمن القومي الإيراني، حاولت ايران التخفيف من حدّته في مناسبات ثنائية متعدّدة.

في أعلى الخارطة تتموضع أوكرانيا، وفي أعلاها دول البلطيق، وخَلْفها دول أوروبية مُتحالفة ومُتماهية مع المنظومة الأمريكية، ومع النظام الدولي العسكري والمالي الذي ساد في الحقبة الماضية، نظراً لتشابك المنظومة الدولية الليبرالية الاقتصادية وارتباطاتها العسكرية، بحراً وبراً وجواً. وهي مُنفتحة مباشرة على خارطة الشرق الأوسط في الأبعاد السابقة الذكر، وفي البعد الجغرافي أيضاً، مع اللاعبين الدوليين والإقليميين في كلا المنطقتين .

ساحات أربع انفجر بعضها، وبعضها الآخر على لائحة الانتظار، ويَحْكمها في العمق كارتيلات الطاقة والعسكر والمال، في مواجهة حركات للتحرّر من مُجْمل المنظومة، تَتَلبّس عناوين مختلفة، لكنها تتوحّد على مبدأ ضرورة صدّ توحّش هذه المنظومة؛ عناوينها مُتناثرة، وقد وَحّدتها إلى حدٍ ما قضية فلسطين و"طوفان الأقصى" منذ السابع من أكتوبر، الذي غَيّر العالم.

في الشرق الأوسط، وتحديداً في الرقعة الجغرافية الصغيرة، "الساحل الشرقي للمتوسط"، تَتَمَوْضع أعْقَد الأزمات على المستوى الدولي. وهي تمتاز بفرادة نادرة لا نجدها في أيٍ من مناطق الصراع السابقة. فإلى جانب الموضوعات التقليدية، من صراع على الموارد والسلطة والتوازنات والقوّة .. ترتكز قوّة التصورات والإدراكات الدينية، فَتَتلبّس لبوساً سياسياً، ويُساق الوعي على أعلى المستويات السياسية، ممّا فوق دولية، وصولاً إلى حديث تغريدات فردية، لتَرْتسم وفق هذه التصوّرات خرائط "بُلْدان " وعلاقات ثنائية وتحالفات استراتيجية.

ولعلّ أشدّ التصوّرات التي تُرْهق العدو الإسرائيلي، هي تصوّراته النبوءاتية للعقد الثامن من حُكْمه؛ فهي تتوافق مع فكرة عمر أو انهيار "المملكة"، حيث جاءت المعطيات مع مطلع القرن الحالي، ونتائج الحروب التي شَنّها

الكيان، وليس آخرها بعد "طوفان الأقصى" في السابع من أكتوبر، والصواريخ الإيرانية في سماء فلسطين المحتلة، وما سَبَقها من استنفار عام. وأتَت ليلة 13- 14 نيسان لتُشكّل أحد أبرز معارك كي الوعي الصهيوني، الذي استَدْرج مُجدّداً، وبقوّة، التدخل الأمريكي، لتَهْدئة هذيانه التوراتي وجنون استراتيجيته، ولإعادته إلى حظيرة التنسيق مع "الاستراتيجية الأمريكية" للسيطرة على العالم، أو "لحُكْم العالم"، كما عَبّر الرئيس الأمريكي جو بايدن، في أحد ردوده على مُنافسه الانتخابي للرئاسة، دونالد ترمب.

تاريخياً، لم تُشكّل منطقة الشرق الأوسط نقطة اشتعال حروب "عالمية"؛ ولكنها كانت مسرحاً للتوازنات الجيوبوليتيكية العالمية. وحالياً، من غير المُرجّح أن يتغيّر دورها؛ فنقاط أو شرارة أي حرب عالمية جديدة ترتكز أيضاً في ساحتين أساسيتين: أقصى شرق آسيا وأقصى غرب روسيا؛ لكنّ حروباً طاحنة بين فالق الصين – أمريكا وفالق روسيا – أمريكا – الاتحاد الأوروبي باتت "مُرتقبة" أو متوقّعة، سيما أن الولايات المتحدة ما زالت راغبة بأن تكون هناك حروب استنزاف لعدائها بدلاً من المواجهة المباشرة.

لذا، من المُرجّح أن تستمر "المناوشات" في منحىً تصاعدي، بانتظار جبهة أوكرانيا ومآلات الدعم الأوروبي والأمريكي الجديد لها، والضغوطات التي تُمارَس على الصين للحدّ من قدرة روسيا على المواجهة.

وكنّا أشَرْنا في تقدير سابق إلى أنّ أسابيع شهري نيسان وأيار قد تكون أنْسَب الأوقات لأيّ تحرّكات يقوم بها محور المقاومة، نظراً للمعطيات التي برزت في حينه، على المستوى العسكري والمالي، وخصوصاً لجهة إعادة الإسرائيلي إلى اللعب في حظيرة الاستراتيجيا الغربية مرحلياً، وأنّ الأنظار لا بدّ وأن تَتّجه إلى الساحة الأوكرانية، من دون إغفال للاستفزازات الغربية للصين، والتي كان آخرها إجراء مناورات عسكرية أمريكية مع الفليبّين.

على مستوى المنطقة:

هذه اللوحة الدولية المُعقّدة تتكامل مع هذا التوصيف الإسرائيلي المستجد: "إنّ الرّدْع مفهوم خاطئ يَتردّد كثيراً في إسرائيل. "حماس" مَرْدوعة؛ حزب الله مَرْدوع؛ إيران مَرْدوعة؛ سَنَسْتعيد الرّدْع، وسنُرمّمه، ولا نَتَحمّل المسّ بالرّدْع؛ يَتَعيّن علينا الردّ من أجل تعزيز الرّدْع. وإذا كان هذا المُصطلح لم يَفْقد مغزاه بصورة مُطلقة في 7 تشرين الأوّل/أكتوبر، فإنه بالتأكيد فَقَدَ مَعْناه في ليلة 13-14 نيسان/أبريل جرّاء الهجوم الإيراني على إسرائيل". هآرتس (21 نيسان 2024).

وما بَيْن قرار ضرب القنصلية الإيرانية في سوريا وليْلة 14نيسان / أبريل، لم "يَفْقد الرّدْع الإسرائيلي معناه"، وفْق وَصْف "هآرتس" فقط، وإنّما تَعَرّت منظومة القرار الاستراتيجي الإسرائيلي، وتوقيت اتخاذ القرارات

المصـيرية غير المُتناغم مع التوقيت الأمريكي الحرج في جملة من السـاحات، وأبْرزها السـاحة الأوروبية التي كاد أن يَفْقدها الأمريكيون على وقع "طوفان الأقصى".

لأكثر من عشـرين سـنة، تَبادَلت الجمهورية الإسـلامية في إيران والكيان الصـهيوني ضـربات أمنية على الأغلب، ما بين اغتيالات وعمليات سـيبرانية.. إلّا أنه وبعد اغتيال "إسـرائيل" لمُسـتشـارين إيرانيين في حمص عام 2018، أقْدَمت إيران على الردّ المباشـر انطلاقاً من سـوريا، على العملية، وذلك على الجولان السـوري المحتل. ولَعَلّها المرّة الأولى التي تردّ فيها إيران مباشـرة على عملية اغتيال برعاية وإشـراف القائد سـليماني مباشـرة. لكن، وبعد اغتيال القائد سـليماني مطلع العام 2020، والردّ الإيراني في حينه مباشـرة على القاعدة الأمريكية في "عين الأسـد"، في مُحافظة الأنْبار العراقية، في تلك المرحلة بالتحديد، انْطَلقت الشـرارة الأولى لواقع تآكل الردع الأمريكي والإسرائيلي معاً.

من الواضـح أنّ "إسـرائيل" المُتعجّلة لتوجيه ضـربة لإيران، مركز انطلاق "المقاومة" في المنطقة، وبُغْية توريط الجانب الأمريكي، لم تأخذ في الحسـبان عدم تناغم حسـاباتها مع حسـابات الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى الرغم من كَوْنها، اسـتناداً إلى الماضـي، قد توقّعت رداً إيرانياً ما، على اسـتهداف القنصـلية، إلّا أنها بالتأكيد لم تكن لتتوقّع أن يكون الردّ الإيراني في هذا التوقيت تحديداً، وبهذا الحجم والجرأة، وأن تُهَرْول الولايات المتحدة لفَرْملة الجنون الاسـتراتيجي الإسـرائيلي، عبر تَلقّف الردّ الإيراني بالتعاون مع حلفائها الغربيين وبعض العرب، وتشكيل قبّة دفاعية عن الكيان.

وكان رئيس جهاز "أمان" السـابق قد اعْتَبر أن الكيان "عالقٌ في غزة؛ لا نَتقدّم أمام حزب الله، وإيران لن تستسلم". في حين لخّص "راز تسيحت"، وهو خبير في الشؤون الإيرانية في معهد أبحاث الأمن القومي للكيان، رأيه بالقول:" بفضْـل المُسيّرات والصـواريخ والوكلاء والعتبة النووية؛ بالإضـافة إلى المُتغيّرات الدولية، وضـعف إسرائيل، كلّها "سَتَدْفع بالكيان" إلى وضع الردّ الإيراني المباشر في عملية صنع القرار مُستقبلاً".

وفي الوقت الذي يعمل الكيان على اسـتعادة منظومة الردع، هو لَجَأ إلى مُضـاعفة الحملة الإعلامية الهجومية باتجاه المنظومة الصـاروخية الإيرانية والملف النووي، مُجدّداً. فبعض التحليلات الإعلامية الغربية كانت قد أشارت إلى أن الهجوم الإيراني كَلّف إيران أكثر ممّا حَقّقته على مستوى المنظومة الصاروخية، مُعْتبرة أن إيران تمتلك من الصواريخ الباليستية قرابة 3000 صاروخ، استهلكت منهم 150، في الوقت الذي خَرَجت تقارير في مؤسسات إعلامية ذات وزن عسكري، تفيد بأن إيران تَحوّلت إلى مورّد للأسلحة، حيث كشف الأدميرال البحري الأمريكي مايك بروكس، خلال مؤتمر الدفاع البحري الجوي والفضـاء في ولاية ماريلاند: "كانت إيران عميلاً".

"الآن، هم مُنْتجون ويَنْشرون الأسلحة؛ وأعتقد أن روسيا مثال عظيم". ووفقاً للتقارير الأمريكية، فقد زَوّدت إيران روسيا منذ عام 2022 بأكثر من 1000 طائرة بدون طيّار من طراز شاهِد ومُهاجِر.

وبيْن تناقض التوصيفات للتسلّح الإيراني وأهميته، خَرَجت دعوات حثيثة لوزير خارجية الكيان الإسرائيلي، الذي زَعَم أنّ "مشروع إيران الصاروخي يُعرّض العالَم للخطر" مُطالِباً الاتحاد الأوروبي بفَرْض مزيد من العقوبات عليه؛ وهو بالفعل ما اسْتجابت له دول الاتحاد، في محاولة لامتصاص الغضب الإسرائيلي على الهجوم الإيراني، فيما تَعالَت الأصوات الإسرائيلية المُحذّرة من بلوغ إيران العتبة النووية.

بعد أيام من الردّ الإيراني غير المسبوق، فرضت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة عقوبات إضافية على الشركات المُصنّعة ومصادر العتاد الإيرانية. واستهدفت هذه الخطوة المشتركة "16 شخصًا ومنظّمتين تدعمان صناعة الأسلحة المُزْدهرة في طهران؛ ومن بينهم بعض من يُعتقد أنه يعمل لصالح الحرس الثوري الإسلامي وذراعه لإنتاج الطائرات بدون طيّار". وتأتي هذه العقوبات للردّ على الاتّهامات الأمريكية برَفْد إيران لروسيا والحوثيين في اليمن وحلفائها بالمنطقة بطائرات "شاهد" و"مهاجر"، وبالصواريخ ومُشتقّاتها.

وفي هذا الصدد، قالت وزيرة الخزانة الأمريكية، جانيت يلين، في بيان صدر يوم 18 نيسان/أبريل: "إنّنا نستخدم الأدوات الاقتصادية لوزارة الخزانة لإضعاف وتعطيل الجوانب الرئيسية لنشاط إيران، بما في ذلك برنامج الطائرات بدون طيّار والإيرادات التي يَدُرّها النظام لدعم الإرهاب". وأضافت أن الكيانات المُرتبطة "بنشاط إيران وانتهاكاتها لحقوق الإنسان، وتمويلها لحماس والحوثيين وحزب الله والميليشيات العراقية، تراجعت في السنوات الثلاث الماضية".

وعلى نفس الخط، تحرّك وزير الخارجية الأمريكي، أنتوني بلينكن، خلال لقائه وزراء مجموعة السبع، والتي دَعَت في بيان إلى "تحقيق الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط، ومنْع أيّ زيادة في التصعيد، مع تجديد المعارضة لعملية عسكرية "إسرائيلية" واسعة في رفح؛ ونُطالِب إيران بوقْف علاقاتها مع "حماس" وبوقف فوري ومُستدام لإطلاق النار بغزّة، وإطْلاق سراح الرهائن، وضمان وصول المساعدات. إنّ سلامة الشحن والملاحة في البحر الأحمر أمرٌ ذو أولوية، ونَعْمل لحماية سفن الشحن بالمنطقة".

بلينكن، من جانبه، نفى المُشاركة في أيّ عمل هجومي على إيران، واصفاً الأنشطة الإيرانية في المنطقة ب "المُزَعْزِعَة"، وأن "مجموعة السبع" أكّدت عَزْمها على فَرْض عقوبات على إيران.

المحاولات الأمريكية لتهدئة الغضب الإسرائيلي، بعد تفكّك منظومة الردْع الاستراتيجية لديه على مستويات مختلفة، وآخرها بعد الضربة الإيرانية المباشرة للكيان، ودعوته "للصبر الاستراتيجي"، قابَلها تأكيد الرئيس

الأمريكي جو بايدن، في أكثر من مناسبة، على أهمية وموقعية الكيان الإسرائيلي في خارطة الأمن القومي الأمريكي، ضاخاً المزيد من التهديدات، التي من شَأْنِها، حسب المفاهيم الأمريكية، لَجْم أي محاولة استفراد بالكيان الإسرائيلي، في الوقت الذي يَتَفَرّغ فيه الأمريكي وحلفاؤه لتحقيق إنجازات على الساحة الأوكرانية، وربما الصينية، بعد التراجع المُثير في سَيْر العمليات ونتائجها لصالح الدولة الروسية.

فقد صَرّح بايدن أن "حزب الله وحماس ووكلاء إيران يُشكّلون خطرًا، وأمْن إسرائيل أمرٌ بالغ الأهمية للولايات المتحدة"؛ وذلك في إطار الضغط على الكونغرس الأمريكي للموافقة على المساعدات للكيان، مُعتبراً أن "إيران تريد تدمير الكيان. وقد يتم جرّ الولايات المتحدة إلى الحرب"؛ وهو ما يُعدّ كابوساً أمريكياً على المستوى السياسي والشعبي في المرحلة الراهنة.

وأضاف بايدن، في مقال لصحيفة وول ستريت جورنال، أن "طهران تريد تدمير إسرائيل إلى الأبد، ومحو الدولة اليهودية الوحيدة في العالم"! وهذا الخطاب السياسي هدفه تأمين المزيد من الدعم المالي والعسكري للكيان الذي يُشكّل قاعدة استراتيجية للوجود الأمريكي؛ وهو موَجّه إلى الشريحة المُتديّنة في المجتمعات الغربية، والتي تعتقد بأن "الدولة اليهودية" هي مُقدّمة لعودة المسيح، وأن الدفاع عنها هو التزام ديني قبل أن يكون أخلاقياً أو مصلحياً.

بايدن تابع، مُحذّرًا من مَغبّة الضعف الإسرائيلي، أو الاستفراد بالكيان في المنطقة، بقوله إن "الجيش الإسرائيلي يمتلك التكنولوجيا والتدريب اللازمين للدفاع عن البلاد"، و"إسرائيل شريكنا الأقوى بالمنطقة؛ ولن نقف مكتوفي الأيدي إذا ضعفت دفاعاتها".

وكان الجنرال عاموس يادلين، رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية السابق، وتحت عنوان "إيران وإسرائيل تدخلان في حقبة جديدة خطيرة"، "ورغم إشادته بالرد الإسرائيلي على إيران، إلّا أنه اعتبر "الجرأة الإيرانية المتمثّلة في إطلاق المئات من الصواريخ والمُسيّرات في اتجاه إسرائيل، تشير إلى ثقة كبيرة بالنفس لدى إيران، وتعكس ضعفاً إضافياً في قدرة الردع الإسرائيلية والأمريكية. والسؤال هنا عَمّا إذا كانت قدرة الردع الإسرائيلية رُمّمت إلى حدٍ كافٍ، وهو سؤال متروك للمستقبل". وبحسب تقارير إسرائيلية أخرى، فإن الردْع كلّه انتهى" بالهجوم الإيراني على الكيان، والذي طالَ هدفاً استراتيجياً هو قاعدة "نيفاطيم" الجويّة، "التي تشكّل عنصراً حيوياً في الحفاظ على تفوّق الكيان الجوي في المنطقة."

إنّ الإرباك السياسي والإعلامي الإسرائيلي، ومحاولة التخفيف من شدّة المأزق الاستراتيجي، لم يتوقّف عند هذا الحد؛ بل هو ارتكز على أبعاد أخرى، من بينها:

- إنّ الهجوم "خَدَم المصلحة الإسرائيلية، كَوْن الفيتو الأمريكي على الاعتراف بدولة فلسطينية جاء كردٍ على الهجوم؛ "وهو ما يُنافي الرؤية الاستراتيجية الأمريكية لوضع الكيان، وعدم قُدرته على الصمود في مواجهة دولة فلسطينية على حدوده.
- إنّ "الهجوم الإيراني ثَبّت التحالف الإقليمي بين إسرائيل وبعض دول المنطقة"؛ ورغم أن هذا الأمر لا يُشكّل تناقضاً مع الواقع الراهن، إلّا أنه يحْمل مخاطر استراتيجية للدول المُتَبّتة لهذا التحالف الإقليمي، إلى جانب كوْن الهجوم الإيراني فَضَح "قدرة الردع الإسرائيلي" المُنْفَرد، والتي بُنِيت على أساسها العديد من التوازنات في المنطقة سابقاً.
- أما الدعاية الإعلامية القائلة بأنّ الهجوم قد أضْعف حلفاء إيران الدوليين "الصين وروسيا" لجهة إقرار المساعدات العسكرية لكلٍ من أوكرانيا وتايوان وإسرائيل، فمردود، كَوْنه قراراً استراتيجياً يصب في مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية على الجبهة الأوروبية والصينية، في حين يُمثّل الدعم لإسرائيل مُحاولة أمريكية للمُحافظة على الكيان وتأخير عملية الرد الأمريكي الكبير باتجاه إيران، ريثما تتّضح معالم أو مؤشّرات الأوضاع في بقيّة الساحات الدولية، في الوقت الذي لا يُمكن لإسرائيل فَتْح حرب مباشرة مع إيران دون دعم المنظومة الغربية وبعض الحلفاء الإقليميين، المَشغولين حالياً، وبشدّة، في ترتيبات استنزاف روسيا، عسكرياً واقتصادياً وأمنياً.

هذا التخبّط الإسرائيلي والغربي في التعاطي مع الهجوم الإيراني، وَصَفَه المُرشد الإيراني السيد علي الخامنئي بقوله: "إن الكيان الصهيوني غاضبٌ من قوّة إرادة الشعب الإيراني، وليس من عدد الصواريخ"، مؤكّداً، في إشارة إلى المرحلة القادمة، على ضرورة عدم التوقف عن الاستعداد، لأن "التوقّف يعني العودة إلى الوراء"؛ وهي إشارة واضحة إلى سرعة المُتغيّرات على المستوى العسكري والتكنولوجي، إلى جانب "ضرورة معرفة أساليب العدو. "**ولعلّ هذه الأخيرة هي أحد أبرز إنجازات ليلة 14 نيسان.**

ثم إنّ إيران تُدرك جيّداً حجْم التحديات الموجودة في المنطقة، وأنّ للرد الإيراني تداعيات خطيرة، فيها وعليها، رغم محاولة التخفيف من وقْعها، من خلال الإعلان المُسبق عن الهجوم، والعمل على أن لا يتم استهداف أي منشآت اقتصادية أو مدنية؛ وأنه على الرغم من كَوْن الردّ الايراني على الكيان الإسرائيلي يدخل في إطار القوانين الدولية، إلّا أن الكيان، ومن خَلْفه الإدارة الأمريكية، لا يمكن أن يَقْبلا باستمرار تفكّك الردع الأمريكي والإسرائيلي في المنطقة، لما سيَحْمله من تداعيات على مختلف الساحات والملفات. ومن هنا يأتي تأكيد المُرشد الخامنئي على ضرورة "عدم التوقّف، لأنه يعني العودة إلى الوراء"، حيث لم يعد بالإمكان عملياً العودة إليه.

من جهتها، تبدو "إسـرائيل" عالقة في "المصـيدة الاسـتراتيجية"، وفْق المحلّل العسـكري لصـحيفة "هآرتس"، عاموس هرئيل؛ مصـيدة "غزة والضـفة، ولبنان والجولان"؛ وهي تَتَرافق مع "تطورات دولية واسـعة"، ليس اليمن والبحر الأحمر ببعيد عنها، وذلك للطابع العسـكري والاقتصـادي فيه؛ ويأتي في مُقدّمتها "محور إيراني – روسي، بدعم مُعيّن من الصين، ضدّ الهيمنة الأمريكية منذ سنوات طويلة".

التوقيت الإيراني للضربة في نيسان، والذي اعتبرته تقارير إسرائيلية بأنه "رَصَد جيّداً أزمة العلاقات بين الكيان وأمريكا"، وما اسـتَتْبعها من تدخّل أمريكي لعدم التصـعيد الإسـرائيلي، أثار مَخاوف إسـرائيلية من تَحوّل الكيان إلى أوكرانيا ثانية، مع حرب استنزاف طويلة لا يَتَحمّلها العقل الاستراتيجي عند العدو، ولا إمكاناته الاقتصادية والاجتماعية والسـياسـية، إلى جانب إمكاناته العسـكرية؛ "فالقتال يسـتمر بحجم محدود، لكن بشـكل يضـع مصـاعب أمام الحياة الاقتصـادية هنا. يُعطّل السـياحة الوافدة من الخارج، ولا يسـمح بعودة كاملة إلى البلدات عند الحدود اللبنانية وغلاف غزة"، بالتزامن مع "الأنباء السـيّئة، مثل قرار شـركة 'سـتاندارد أند بورز' بخفْض التصـنيف الائتماني؛ وهي مُناقضـة تماماً للخطاب الأجوف، والوعود بلا رصـيد التي يَنْثرها رئيس الحكومة"، وفق هرئيل؛ هذا مع الإشارة إلى أن شركات تكنولوجية كبرى كانت قد حَوّلت مسار استثماراتها من الكيان نحو الإمارات العربية المتحدة في الآونة الأخيرة.

رَبْط الساحات الجيوبوليتيكية الدولية ببعضها:

لعلّ أكثر الدروس المستفادة من تجارب محور المقاومة في المرحلة الراهنة، هي تجربة "وحدة الساحات"؛ ومن الواضـح أننا نشـهد نوعاً من إعادة التموضـع الدولي، بما يطرح تسـاؤلًا مشـروعًا: هل نحن أمام وحدة سـاحات على المستوى الدولي، ولو كانت من ماهيّة أخرى؟

كما هي المسـاعي الإسـرائيلية المسـتمرة لفكّ "وحدة السـاحات" على خط محور المقاومة في المنطقة، رُصِـدت مسـاعٍ حثيثة للولايات المتحدة، لفكّ الارتباط بين الدول المُنَافِسـة؛ لكن، للمفارقة، هي تأتي على لسـان الدعاية الإسرائيلية حالياً لحثّ المجتمع الغربي على التصعيد مع إيران.

إنّ محاولات الرّبْط بين سـاحات الترددات العالية في العالم، أو نقاط الاختناق، أو التوازنات الجيوبوليتيكية، لتبرير التدخّل الأمريكي والأوروبي المسـتقبلي على خط الأزمة في الشـرق الأوسـط، ظهرت جليّة بنَشْـر خبر تَسَـلّم "القوات الجويّة الإيرانية أوّل دفعة من مقاتلات سـوخوي 35 الروسـية" عبر وسـائل الإعلام العبرية، بالتزامن مع تقرير لصـحيفة واشـنطن بوسـت، نقلاً عن مسـؤولين اسـتخباراتيين أميركيين وأوروبيين وعرب، تأكيدهم أن تعهّد روسـيا بتزويد إيران بمقاتلات متقدّمة وتكنولوجيا دفاع جوي، قد يُعزّز دفاعات طهران بوجه

أي هجمات إســـرائيلية مُحتملة بعد الهجوم الإيراني، وذلك في إطار العلاقات التي توطّدت بين البلدين في أعقاب حرب أوكرانيا. وأشـــارت الصـــحيفة إلى "أن عدد الأنظمة الدفاعية التي وفّرتها موســـكو لطهران غير معروف، وأن التكنولوجيا الروســية يمكن أن تُحوّل إيران إلى خصــم أقوى بكثير، مع قدرة مُعزّزة على إسـقاط الطائرات والصواريخ، ممّا "يرفع مكانة إيران من حليف صغير إلى شريك استراتيجي".

ربْط الساحات لم يتوقّف على الأخبار المتعلقة بتزويد روسيا لإيران بطائرات سوخوي 35 ، وإنّما تَخطّاه لتوجيه رسالة أمريكية إلى روسيا عبر "إسرائيل"، ومن الأراضـي الإيرانية، باستهداف منظومة أس 300 في أصـفهان خلال الهجوم الإسرائيلي الأخير، والتي ردّت عليها روسيا بالإعلان عن " **ضربة روسية غير مسبوقة، حيث تم تدمير قاذفة صواريخ أمريكية بأوكرانيا**".

مؤشّرات شديدة الخطورة على المستوى الدولي والإقليمي:

إنّ قرار تمرير حزمة المسـاعدات العسـكرية الأمريكية الأخيرة لإسـرائيل وأوكرانيا وتايوان، على الرغم من كوْنه ليس بالأمر الجديد، إلّا أنه في ظل الظروف التي اتُخِذ فيها، يُعَدّ مؤشّـــراً واضـــحاً على أن العالم يســـير في منزلق خطير؛ وإن تَمْرير الحزمة أشْبه ما يكون بانتزاع الفَرامل من عجلة المنظومة الدولية، في ظل توتّر شديد في المنظومة المالية الدولية، سيما بعد الإجراءات الأمريكية الأخيرة باتجاه الصين وروسيا، والتي من شأنها أن تُعمّق الانقسامات الدولية الاقتصادية والمالية من جهة؛ وتزيد من حدّة التحالفات على المَقْلب الآخر، مما يدفع باتجاه المزيد من التصعيد الدولي.

إنّ أحْدَث البيانات التجارية الصـادرة عن الأمم المتحدة تعتبر أن الانحدار العالمي في تجارة السـلع قد انتهى. لكنّها حَذّرت من "الانقسـام على مستوى التدفّقات التجارية إلى كتل يتمتّع أعضـاؤها بوجهات نظر جيوسياسية مُماثلة. ثانياً، من المُرجّح أن يؤدّي اختلاف مُعدّلات النمو الاقتصـــادي إلى مزيد من التغييرات في أنماط التجارة. ثالثاً، من المُرجّح أن تؤدّي المنافسـة المتزايدة على الشـحن بالحاويات إلى رفع تكاليف النقل والتسـبّب في تأخير بعض السلع، في حين ستعمل المنافسة الشديدة على المواد الخام الأساسية على إعادة تركيز التجارة نحو تأمين هذه الإمدادات. وأخيراً، سـوف تسـتمر الصـراعات الدائرة في أوكرانيا و"إسـرائيل" في تعطيل مَمَرّات الشحن ودفع أسعار السلع الأساسية إلى الارتفاع، ما من شأنه أن يؤثّر على تدفّقات التجارة العالمية" .

هذه التحذيرات لا تأتي من فراغ، بل من واقع دولي يعمد إلى زيادة الضـــغط، والذي يؤدّي بدوره إلى زيادة الاصـــطفافات الدولية القائمة على تشـــابك الاقتصـــادي والمالي مع الأمن القومي والموقع الاســـتراتيجي في المنظومة الدولية والمنظومات الإقليمية.

وقد تَمَثّل أبرز المؤشّرات على تصاعد حدّة الاصطفافات، في مصادرة الأصول الروسية المُجمّدة في أوروبا؛ وهو ما وصفته رئيسة مجلس الاتحاد الروسي، فالنتينا ماتفيينكو، بالخطوة التي من شأنها أن "تُدمّر الاقتصاد العالمي" و"الخطوة غير المسبوقة في التاريخ "، مؤكّدة أن "موسكو سترّد بشكل مماثل على مُصادرة أصولها؛ وإجراءات الردّ يمكن أن تضرّ بالأنشطة التجارية الأوروبية".

وكان وزير المالية الروسي، أنطون سيلوانوف، قد حَذّر دول الغرب من مُصادرة الأصول الروسية المُجمّدة لديها، مؤكّداً أن في حوزة روسيا كافة أدوات الرد "لوجود أصول غربية في روسيا تُعادل قيمتها أصول البنك المركزي الروسي التي جَمّدتها الدول الغربية في 2022."

من جانبها، أعْلنت وزيرة الخزانة الأمريكية، جانيت يلين، في خطوة تصعيدية أيضاً، بأن "واشنطن مُستعدّة إذا لزم الأمر لفَرْض عقوبات على البنوك الصينية" التي يُزعم أنها "تُسهّل توريد مُنتجات عسكرية إلى روسيا"؛ وأضافت: "هذه سلطة مهمّة؛ ونحن على استعداد لاستخدامها إذا دَعَت الحاجة". "يلين" أشارت في مقابلة مع وكالة "رويترز"، إلى أن بايدن مَنَح وزارة الخزانة الأمريكية سلطة فرْض عقوبات على البنوك الأجنبية – في الصين أو في أي مكان آخر – لتَسْهيلها توريد السلع العسكرية إلى روسيا"؛ هذا في الوقت الذي حَذّر فيه الرئيس الأمريكي السابق، دونالد ترامب، من خطورة البحث عن بدائل للدولار الأمريكي، في تلميح واضح أن معركته الاستراتيجية المُرتقبة في حال فوزه بالرئاسة ستتمحور حول هذه العقدة.

وقد تَزامنت هذه التصريحات مع زيارة لوزير الخارجية الأمريكي، أنتوني بلينكن، إلى الصين. ومن المرجّح أن يكون احد أبْرز أسبابها هو الضغط على الصين لوقف التعاون الاقتصادي والمالي والعسكري مع روسيا، ممّا يسمح بتعجيل إغراق روسيا في مستنقع الاقتصاد والحرب، وخصوصاً أن مُجمل التقديرات الأمريكية أشارت إلى أن روسيا تمكّنت خلال فترة قصيرة من إعادة بناء جيشها نتيجة الدعم الاقتصادي والتكنولوجي الصيني.

وفيما رفضت الصين هذا المنطق، إذ "لا يجوز لأي طرف آخر المُطالبة بتقييد هذا التعاون"، أعْلَن وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، أن التعاون الاقتصادي بين روسيا والصين يَرْتبط بشكل مباشر بالنضال من أجل نظام عالمي عادل؛ وستُواصل موسكو وبكين النضال من أجل إضفاء طابع ديمقراطي على العلاقات الاقتصادية الدولية، حيث لن يكون هناك مكان لسياسات العقوبات الغربية.

التهديدات الاقتصادية باتجاه الصين، وتَصاعُد المُحاصَرة الأمريكية للصين براً وبحراً، مع ما نُقِل عن أن زيارة بلينكن للصين تحمل تهديدات اقتصادية تحت ذريعة "مساعدة روسيا"، تشير إلى أن الإدارة الأمريكية الحالية عازمة على تصعيد المواجهة مع الصين أيضاً؛ وقد تَبْدأ بفرْض عقوبات مالية تطال الصين وكلّ من يتعامل

معها، ممّن لديه أرْصـــدة مالية في البنوك الأمريكية والأوروبية، ما يُســـهم في تفاقم أزمة المنظومة المالية والاقتصـادية العالمية من جهة؛ وقد يكون من المُبرّر الالتفات إلى أن مواجهة الصـين قد تتطلّب فك الارتباط بينها وبين إيران على مستوى إمدادات الطاقة، ما يُرجّح امكانية تغيير التكتيك الأمريكي الراهن، القاضـي بعدم الانجرار إلى مواجهة مُباشرة مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ وهو ما يؤكّد أن هذه الساحات مَحكومة بالتوحّد في مواجهة منهجية التدمير الأمريكية خصوصاً، والغربية عموماً.

لقد قام الجيش الأمريكي بالفعل بتعميق الاشتباك، من البحر الأبيض المتوسط إلى البحر الأحمر، منذ "طوفان الأقصـى"، حيث قامت الولايات المتحدة بنَشْـر حاملات طائرات في المنطقة لتثْبيط هجمات "الحراسـة الخلفية" ضدّ الكيان، وشنّ غارات جويّة لصدّ الهجمات على السفن من قِبل الحوثيين. كما تَتَحرّك أمريكا لبناء رصيف قبالة غزة، تقول إنه لأهداف إنسانية؛ ونقول إن أهدافه عسكرية.

وفيما رفضـت شـيرا إيفرون، مديرة أبحاث السـياسـات في منتدى السـياسـة الإسـرائيلية ومقرّه الولايات المتحدة، التلميحات بأن نتنياهو كان يحاول بنشـاط من خلال هجمات، مثل تلك التي وقعت في دمشـق، جرّ الولايات المتحدة إلى صـراع حاسـم مُحتمل إلى جانب "إسـرائيل" ضـدّ مُنافسـيهما المشـتركين، على الأقل في الوقت الراهن"، مؤكّدة أن مخاطر التصـعيد قد زادت؛ إلّا أن الأصـول العسكرية الأمريكية التي تدخّلت لصـدّ الهجوم الإيراني ضـدّ الكيان تَحْمل في طيّاتها أيضـاً مؤشّـرات على فتح المجال أمام انجرار مسـتقبلي أمريكي في المنطقة.

لقد لعبت، وفق تقارير أمريكية "مجموعة من السـفن والطائرات والذخائر العسـكرية الأمريكية، دورًا حيويًا في صـدّ الهجوم الإيراني على إسـرائيل، حيث، من البحر الأبيض المتوسـط، أسـقطت المُدمّرتان البحريّتان كارني وأرلي بيرك عدة صواريخ باليستية في الهجوم، وفقًا لمسؤول دفاعي وتقارير إعلامية أمريكية.. والمُدمّرة كارني مثّلت العامود الفقري للبحرية في الأشـهر الأخيرة، وكان لها دور حاسـم في إسـقاط الهجمات الصـاروخية والطائرات بدون طيّار فوق البحر الأحمر". وفي الوقت نفسه، "أكّد مسؤولو البيت الأبيض أن سربي المقاتلات 494 و355 التابعين للقوات الجويّة لعبوا أيضًـا دورًا في الدفاع عن إسـرائيل، حيث قاموا بتنفيذ العشـرات من عمليات الإزالة الجويّة؛ إلى جانب بطّارية الباتريوت للدفاع الصاروخي المُتمركزة في أربيل بالعراق".

في الختام:

- من المُرجّح أن تَعْمد "إسرائيل" إلى ضرب "توازن الرعب" الذي أحدثته ضربة إيران في الكيان المحتل، عبر مواصلة حرْبها ضدّ لبنان وفلسطين وسوريا، مع استمرار عمليات الاغتيال في دول محور المقاومة، باستثناء إيران حالياً، لأنه وفق الرؤية الإسرائيلية، فإن "الاختبار المُقْبل سيكون عندما تنشأ إمكانية لتصفية جنرال إيراني في الأراضي السورية أو في مكان آخر. وعلى الأرجح أن هذا الموضوع سيُدْرس في الكيان بشكل جديّ للغاية؛ وثمّة شك إذا كان سيُنفّذ"، إلّا في حالة وجود قرار أمريكي مباشر بالانجرار إلى معركة مفتوحة مع إيران؛ وهو، كما أشرْنا سابقاً، أمر مُستبعد خلال الأسابيع القليلة القادمة. وعملياً، يبدو أننا أمام مرحلة تصعيد، ولكنه مضبوط في قطاع غزة وفي لبنان، بانتظار أي مُستجد أو مُتغيّر، ربما يكون خارجياً، يعيد خَلْط الأوراق في المواجهة القائمة، ولاسيما على مستوى الجبهة الجنوبية اللبنانية.
- من المُرجّح أن تشهد العلاقات الإيرانية – الصينية – الروسية مزيداً من التقارب على خلفيّة تصاعد حدّة التهديدات المالية والعسكرية والأمنية.
- وفيما ستستمر آلة القتل الإسرائيلية من جهة، وعَسْكرة منطقة الشرق الأوسط، عبر استدْعاء المزيد من الدعم العسكري واللوجستي الأمريكي إلى المنطقة، وبتقنيّات متقدّمة، فإنّ إعادة تفعيل الجماعات المتطرّفة، كجماعة "داعش"، في دول المحور، هي العناوين التي ستَحْكم بعض الجغرافيات في المنطقة حالياً، والتي بدا واضحاً تفعيلها مؤخراً تحت نظر القوات الأمريكية.
- وفقاً لتحليلات إسرائيلية، فإنّ "على الكيان أن يُنْهي، وبسرعة، الحرب المتواصلة في قطاع غزة، وتسريع العملية العسكرية المُخطّطة في رفح، لوقْف الحرب، كسيناريو أوّل، أو للتفرّغ للجبهة الشمالية في فلسطين المحتلة، كسيناريو ثاني، وخصوصاً في ظلّ الحديث عن فشل جديد للوساطة الغربية لفَصْل المسارات وتطبيق القرار 1701.
- نظراً للضغط الإعلامي والطلّابي الحالي في الولايات المتحدة، والذي بدأ بالتمدّد الى عواصم أوروبية وغربية، فإنه من المرجّح أن تَعْمد بعض الجهات المخابراتية الدولية إلى تنفيذ عمليات استخباراتية نوعية في بعض العواصم، لإعادة تحريك "الإسلاموفوبيا" و"الصينوفوبيا" و"الإيرانوفوبيا"، من جهة؛ كما أنه لم يعد غريباً على الإطلاق ممارسة الدكتاتورية في المجتمعات الديموقراطية لضبْط الرأي الحر، أو بالأحرى قمعه!

- من المُرجّح أن تتصاعد في المرحلة الراهنة هجومات سيبرانية واسعة مُتبادلة، قد تطال مواقع حسّاسة وأساسية للاعبين الأطراف.

أخيراً، من الواضـــح أن المرحلة المقبلة مفتوحة على الكثير من الاحتمالات؛ وتبقى مســـألة جمع المعطيات وتحليلها خطوة باتجاه مُقاربة وتفسير ما يدور من حولنا من أحداث متسارعة ومتشعّبة ومتّصلة. لكن المعطى الرئيسي الثابت أن المنطقة أو العالم قادم على أحداث نوعية شديدة التعقيد، على وضوح أهدافها الكبرى، وأن لا فرامل دولية تضبط انزلاقها، في ظل صراع تكنولوجي وانكماش اقتصادي عالمي، تضخ شركات الأسلحة الغربية بعض الحياة في شرايينه!